

شيء وقت ومحلّ". كم من مرّة سمعنا هذا القول في أيام الطّفولة، لا سيّما عندما كنّا على وشك أن نفعل ما لا يوافق عليه الأهل. ولعلّنا كترناه بدورنا لتربية أطفالنا. إنّ هذه الحكمة التي كثيرًا ما يستهين بها الأولاد يمكن تطبيقها على ما نعرفه من سيرة الشّعب في العهد القديم، أو بالحريّ على ما نعرفه من تاريخ البشريّة جمعاء. فقد جاء في سفر الجامعة: (15-1: 3) "هنالك وقت للميلاد ووقت للممات"، وأليس هنالك أيضًا وقت مخصّص للربّ؟ فالوصيّة الرابعة من الوصايا العشر التي بلّغها موسى الشّعب العبريّ تقول: "في ستّة أيام تعمل وتصنع أعمالك كلّها. واليوم السابع سبت للربّ إلهك، فلا تصنع فيه عملاً أنت وابنك وابنتك وخادمك وخادمتك". (خروج 20: 9-10). لذا يوم السبت هو يوم الراحة عند اليهود لأنّ الربّ ذاته استراح فيه بعد فراغه من خلق الكون كما ورد في سفر التكوين (31: 1) وكان السبت مخصّصًا لتمجيد الخالق والإشادة بعمل يديه.

الخلق الجديد

إنّ السيّد المسيح غير مفهوم السّبب، إذ عمل فيه: فقد علّم وشفى وصنع الخير في السّبب. وبذلك حرق حرمة الشّريعة في نظر اليهود الذين كانوا يتمسّكون بالحرف فناصره قادتهم العدا. وقال بعض الفريسيّين: "هذا الرّجل ليس من الله لأنّه لا يحفظ

السّبب" (يوحنا 9: 16). والواقع أنّ السيّد المسيح بدأ خلقًا جديدًا، لأنّه أثبت بقيامته أن الله لم يكفّ عن العمل ليستريح. وهكذا شرع المسيحيّون الأوائل يستبدلون السبت باليوم الأوّل من الأسبوع، ويحتفلون بيوم الأحد، يوم الربّ، يوم قيامة المسيح، "اليوم الذي صنعه الربّ". فأصبح الأحد اليوم الذي يجتمع فيه المسيحيّون للعبادة والتعليم المسيحيّ والتّواصل الاجتماعيّ. وبذلك فقد السبت مكانته كيوم الاحتفال بالخلق الأوّل، وصار يشغل المرتبة الثّانية، تاركًا المنزلة الأولى ليوم الربّ، يوم الاحتفال بالخلق الجديد.

التقليد الشّرقيّ

إنّ التقليد الشّرقيّ لا يزال يحترم السّبب، إذ نحتفل فيه بالقدّاس الإلهي مرّتين بنشيد تكريميّ للخلق الأوّل جاء فيه:

أَيُّهَا الرَّبُّ الْبَارِئُ الْخَلِيقَةَ. إِنَّ الْمَسْكُونَةَ
تُقَدِّمُ لَكَ كِبَواكِبِ الطَّيْبَةِ. الشُّهَدَاءُ
الْإِلَاسِي اللهُ. فَبِتَضَرُّعَاتِهِمْ أَحْفَظْ كَنِيسَتَكَ
فِي سَلامٍ دَائِمٍ. مِنْ أَجْلِ الْوَدَةِ الْإِلَهِيَّةِ. يَا
حَزِيْلَ الرَّحْمَةِ.
(النشيد الختاميّ ليوم السّبب.)

ولعلّ احترام الكنائس الشّرقية ليوم السّبب هو الذي حملها على اعتبار يوم الأحد مخصّصًا بالدّرجة الأولى للعبادة، لا للراحة، أي أنّنا نفقه الله وللخدمات الإلهيّة. أمّا اليوم فقد اعتدنا أن تكون العبادة في الأحد مختصرة إلى حدّ أدنى، أي حضور قدّاس مقتضب بقدر المستطاع. وكثيرًا ما

نفصّل حضور القدّاس مساء السبت "للتخلّص منه" بأسرع ما يمكن والتفريغ لما نشاء يوم الأحد. وهذا أبعد ما يكون عمّا اعتاده المسيحيّون الأوائل الذين كانوا يمضون اللّيلة الفاصلة بين السّبب والأحد في العبادة (أعمال الرّسل 20: 7-12). ومن العسير أيضًا التّوفيق بين تلك العبادة العريضة وما نقوم به حاليًا من عبادة يوم الأحد في الكنائس الشّرقية، إذ نعتبر القدّاس الإلهي ذروة عبادتنا. غير أن التّقليد الشّرقيّ يبدأ في صباح الأحد بذكر قيامة الربّ، وإقامة خدمة السّحر التي تبلغ ذروتها في الاحتفال بالقدّاس الإلهي حيث يحضر الربّ بين جماعة المؤمنين في الافخارستيّا (القربان المقدّس) وبعد ذلك درجت العادة أن يلتقي المؤمنون في قاعة الكنيسة ليمتّعوا بالتّواصل الأخويّ في حضور الربّ.

المنهج المقترح

الواضح أن كنائسنا الشّرقية تحنّنا على أن نعطي الربّ أكثر من ساعة في اليوم المخصّص لعبادته. ولا تقتصر عبادتنا على الوقت الذي نمضيه في حضور الخدمات الدّينيّة. فما المانع من أن تشمل "الراحة والاستحمام" تلاوة صلوات شخصيّة وقراءات روحيّة وتنظيم نشاطات اجتماعيّة خيريّة وزيارة المرضى أو المقعّدين؟ كل ذلك خلاق بأن يدخل في تقديس يوم الربّ. أمّا مساء السبت فهو وقت توقّع واستعداد للأحد. وأفضل ما يمكن عمله حضور صلاة الغروب والاعتراف والتأمّل في نصّ من الكتاب المقدّس، لا سيما قراءات الأحد أو تلاوة صلوات الاستعداد إلى تناول القربان المقدّس، إلى غير ذلك ممّا يسهّل القيام به في المنزل مع أفراد الأسرة أو على انفراد. وهكذا تتأهّب نفوسنا لاستقبال ملك الكلّ متى يبدأ يومه.

وفي ما يلي بعض ما جاء في أقدم المصادر المسيحية عن
تقديس يوم الرب:

كيف نقديس يوم الرب

في يوم الرب تجتمعوا لتكسروا الخبز وتناولوا. لكن
أولا اعترفوا بخطاياكم لتكون تقدمتكم طاهرة
(تعليم الاثني عشر - تم تأليفه ما بين 14 و 70
من القرن الميلادي الأول)
وقرر الرسل أيضا ما يلي: تقام الخدمة في اليوم
الأول من الأسبوع ويُقرأ مقطع من الكتاب
المقدس وتُقرَّب التقادم، لأنه في اليوم الأول من
الأسبوع قام ربنا من بين الأموات، وفي اليوم
الأول من الأسبوع ارتفع فوق العالم، وفي اليوم
الأول من الأسبوع صعد إلى السماء، وفي اليوم
الأول من الأسبوع سيظهر في اليوم الأخير مع
ملائكة السماء
(تعليم الرسل - يعود إلى مطلع القرن الثالث)
الرب، يوم وهو الرب، قيامة يوم في
صنع الذي الله إلى التمجيد وارفعا بنشاط تجتمعوا
يتألم، فتركه وتنازل إلينا أرسله ثم بيسوع، الكون
فما العذر الذي. الأموات بين من وأقامه
سيقدمه للرب، الشخص الذي لا يشارك في
الاجتماع ليستمع إلى الكلام الخلاصي عن يوم
القيامة؟ وهو اليوم الذي نصلي فيه ثلاث مرات
وقوفاً، تكريماً للذي قام في اليوم الثالث، فحقق
أقوال الأنبياء، وأمر بالتبشير بالإنجيل، وبتقاسم
القرايين، نعمة الغذاء المقدس. (المراسم الرسولية
2، 7: 59. وهي تعود إلى سنة 400 م)

و غالباً ما تقام في الكنائس خدمة السّخر والسّاعات. وإلا
فيمكن تلاوتها في المنازل والاستماع إلى ترانيم دينية مسجلة
أو مُداعة، تقديساً ليوم الرب.

وعقب القداس الإلهي، يتناول كثير من المؤمنين الطعام معاً
في اجتماع أحوي تسوده المحبة التي جمعهم حول المائدة
المقدسة. وبدلاً من أن تُمضي باقي النهار أمام التلفاز أو
حول طاولة الزهر، لماذا لا نقوم بزيارة إخواننا العجزة أو
الأصدقاء الذين لا يستطيعون مغادرة المنزل، أو نرشد
الشبيبة أو نساهم في بعض الأنشطة المسيحية كالخروج في
نزهة عائلية مصطحبين جازاً يعيش وحده في عزلة اجتماعية
مريرة. أننا بمثل هذه الأنشطة نقتفي خطا السيد المسيح
الذي كان يشفي المرضى يوم السبت.

وأعمال الخير التي يمكننا القيام بها يوم الأحد لا حصر لها، اذا
كنّا نحب الرب بكل قلبنا ونريد تكريمه في اليوم المخصص له.
كل ذلك يتطلب "السباحة عكس التيار" ومكافحة
الانسياق وراء العمل يوم الأحد كسائر أيام الأسبوع. وهذا
واجب علينا نحن الذين اعتمدنا بالروح القدس وتختنا به
وامتأنا من نوره وتقدّسنا به "كما ورد في خدمة المعمودية.
وهكذا نجد فرحنا - خلافاً لمن لا يؤمن - في من هو مصدر
حياتنا.

"لا تشبهوا بهذا العالم، بل تحوّلوا إلى صورة أخرى بتحديد
عقلكم، لكي يتهيأ لكم أن تميّزوا ما مشيئة الله، وما هو
صالح، وما يرضيه، وما هو كامل" (رومة 12: 2)
إذا احترمتنا يوم الرب من كل قلوبنا، فإننا نُثبت حقاً أننا
نؤدعه حياتنا وأنا على استعداد لأن نلبس الانسان الجديد
الذي خلق على مثال الله في البرّ والقداسة". (أفسس 4: 24)



مكتب الخدمات التربوية
لأبرشية نيوتن الملكية
<http://mekite.org/>

حقوق الطبع والنشر للصور محفوظة عن مجلة صوفيا
مجلة الملكيين الكاثوليك أبرشية نيوتن
<http://www.conventofsaintelizabeth.org/>